الفصل السابع

وحقق طوفان أكتوبر هذه النتائج !

obeikandl.com

obeikandl.com

« تظل إسرائيل تنتصر وتنتصر . . . **ثم تفقد كل شيء عند أول هزيمة** ويظل العـــرب ينهزمون وينهزمـــون **ثم يحصلون على كل شيء عند أول انتصار** »

توقيع
(دافيد بن جوريون)
أحد مؤسسى إسرائيل وحكمائها ورئيس وزرائها الأسبق

* * *

وبعد أن تمكنت إسرائيل من إلحاق الهزيمة بالعرب فى ثلاث جولات مستغلة أخطاءهم الكبيرة . . جاء السادس من أكتوبر من عام ١٩٧٣ . . فإذا بالعرب يعدون ويخططون ثم يخوضون حرباً مع إسرائيل . . يتحقق لهم فيها النصر وتذوق فيها إسرائيل مرارة الهزيمة لأول مرة » .

توقيع
(التاريخ الحديث)

* * *

فكرت كثيراً فى أن أجعل عنوان هذا الفصل « بعض نتائج طوفان أكتوبر » أو ما ظهر حتى الآن من نتائج طوفان أكتوبر ، ذلك لأننى أثق تماماً فى أن حدثاً ضخماً له هذه الأبعاد الطوفانية التى جعلت منه بشهادة الجميع نقطة تحول فى تاريخ العرب الحديث ، وبالنسبة لإسرائيل بل فى العالم المعاصر بأسره . . لا يمكن لأى دارس أن يلم بكل نتائجه ، ذلك لأنه مع مرور الأيام والسنين يتمخض الطوفان عن نتائج أخرى قد لا يمتد البصر الآن لاستكشافها ، كما أن هناك من النتائج التى تحددت معالمها بالفعل ما يمكن أن ينمو حجمها وتتسع آثارها . ولعل ما يؤكد هذ المفهوم هو ما يظهر يوماً بعد يوم ومن خلال دراسات الباحثين والخبراء من جوانب ونتائج جديدة لم تفرض نفسها على خريطة آثار طوفان أكتوبر من قبل .

. . . ومع ذلك فإننى – وقد رضخت للعنوان الذى صدرت به هذا الفصل – طموحاً إلى حصر كل ما ظهر من نتائج الطوفان الأكتوبرى – أسارع الآن إلى تسجيل هذه النتائج مع اعتذار مسبق بأننى قد أكتفى فى الكثير منها بما قل ودل ، خاصة وأنها تستوعب – بتفاصيلها الدقيقة – كتاباً مستقلا . . أو أكثر من كتاب .

. . . . . .

١ – الجانب العربى ماذا تحقق له :

. . . بعد نكسة ١٩٦٧ عاشت الأمة العربية سنوات ستًّا عجافا لم يكن يظهر فيها بارقة أمل إلا لتختفى . . وتزداد حدة التقلصات فى النفس العربية الجريحة ، صحيح أن مصر شنت حرب استنزاف ضد إسرائيل (المنتصرة) لفترة ليست قصيرة إلا أنها – برغم أعبائها – لم تستمر . وعادت حالة اللاحرب واللاسلم لتفرض كابوسها القاتم على الروح العربية .

وازدادت حدة حرب الاستنزاف المعنوية التى شنتها إسرائيل على الأمة العربية حتى بدا للعالم وإسرائيل بصفة خاصة أن المقاومة العربية . . ستتآكل وتنهار ، أو كما قال مفكر عسكرى عربى . . بدا للإسرائيليين أن « الثمرة العربية غدت ناضجة وأن هزة صغيرة ستسقطهـا فى سلتهم » ، وأن الأمر لا يتطلب سوى استغلال الوقت وانتظار معول الزمن الكفيل بهدم إرادة القتال العربية .

ولذلك احتفظ الجنرال موشيه ديان وزير الدفاع بثقته التامة فى قرب الإعلان الرسمى للاستسلام العربى . فهو حين أعلن بعد حرب ١٩٦٧ مباشرة أنه سيجلس فى مكتبه منتظراً أن يدق التليفون ليجد على الطرف الآخر منه الزعماء العرب – الذين يعرفون رقم تليفونه جيداً – لكى يطلبون إليه أن يسمح لهم بالتوقيع على وثيقة الاستسلام – حين أعلن ديان ذلك – فإن مرور الأيام وتضخم حالة اللاسلم واللاحرب . . قد أكد له أنه سوف يسمع بالفعل فى أقرب وقت – رنين التليفون العربى . .

ولكن فى هذه اللحظة اندلعت حرب أكتوبر . . وبدأ مد الطوفان العربى لتتحقق على الفور . ومع الأيام . النتائج التالية :

١ – تحطيم حالة اللاحرب واللاسلم وبالتالى تحطيم كل التفاعلات المخيفة التى كانت ستنجم عنها .

٢ – تحطيم عقدة الخوف واستعادة الثقة بالنفس . وأيضاً استعادة ثقة العالم بالإنسان العربى الذى كادت تلك السنين القاتمة تمحو صورته الحقيقية كمقاتل له تاريخه الحافل .

٣ – أيضاً ثبتت بوضوح كامل قدرة العرب على المبادرة والتخطيط المشترك ووحدة الجبهات وحفظ الأسرار ومفاجأة العدو والانتقال من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم ، والتمكن من استخدام الأسلحة الحديثة المعقدة وأيضاً التعامل مع أحدث الوسائل التكنولوجية .

كذلك برز شعور الأمة العربية بوحدة مصيرها وتوحدها فى المعركة وقدرتها على استخدام مواردها الهامة والفعالة فى معركتها المصيرية .

٤ – امتداداً لهذه النتيجة وضع العرب أيديهم على قيمة إمكانياتهم الهائلة ، وما يمكن أن يكون عليه مستقبلهم حين يتم الاستخدام الأمثل لهذه الإمكانيات والطاقات سواء كانت بشرية أو بترولية أو أرصدة أو موقفاً جغرافيًّا له أهميته .

ولعل ما يبلور هذه النتيجة ما اعترف به الكثيرون من الكتاب والمعلقين السياسيين من أن العرب أصبحوا « القوة السادسة فى العالم » .

٥ – إكتسبت السياسة العربية حجماً وقدرة كبيرة ، وأصبح متاحاً لها التحرك والمناورة وتحقيق الإنجازات المتتالية مستثمرة انتصارها العسكرى وظهور قوة سلاحها الاقتصادى فحصل هدف « تحرير الأراضى المحتلة من قبل إسرائيل » على تأييد عالمى شامل ، كما أخذت قضية الشعب الفلسطينى حجمها الحقيقى فاعترف أكثر المنحازين لإسرائيل بشرعية حقوق الشعب الفلسطينى وأهمية تحقيقها وبالتالى اعترفت المنظمات الدولية بمنظمة التحرير الفلسطينية بل إن ما حدث فى نوفمبر ١٩٧٥ من إدانة هيئة الأمم المتحدة للصهيونية والتأكيد على حقوق الشعب الفلسطينى ثم الموافقة الحاسمة على حضور ممثلى الشعب الفلسطينى لجلسة مجلس الأمن التى دعت إليها دول عربية وعلى رأسها مصر لمناقشة الاعتداء الإسرائيلى على مخيمات الفلسطينيين فى لبنان (نوفمبر ٧٥) ذلك كله يوضح حجم التعبير الهائل فى النظرة للقضية العربية ومحورها المتمثل فى القضية الفلسطينية .

٦ – خرجت القوات العربية من هذه الحرب بخبرة قتالية عظيمة سواء على مستوى القيادات التخطيطية أو الميدانية أو على مستوى الأفراد .

٢ – **الجانب الإسرائيلى :**

إذا كنت سأترك الحديث عن آثار طوفان أكتوبر العربى على إسرائيل ، لكتاب ومفكرين إسرائيليين وأجانب حتى لا تكون هناك شبهة المبالغة أو غير الموضوعية إلا أننى – فقط أضع هذه النقاط التى قد تصلح كمفاتيح لما ستتضمنه الدراسات الإسرائيلية التالية :

١ – فقد الجندى الإسرائيلى ثقته المطلقة بقيادته ، واهتزت ثقته فى نفسه وتحطمت نظرته للمقاتل العربى الذى واجهه لأول مرة – بشكل حقيقى – فى هذه الحرب . . تلك النظرة التى كانت تتمثل فى الاستهانة به والتحقير من شأنه عسكريًّا وثقافيًّا ومعنويًّا .

٢ – تأكد للجندى الإسرائيلى بما حدث من خطوات الانسحاب من الأراضى العربية . . أن أية حرب قادمة لن تحمل سوى المزيد من الفشل الاستراتيجى .

٣ – وضع طوفان أكتوبر حجم التقدم التكنولوجى لإسرائيل فى حجمه الطبيعى . . وكشف أنه لا توجد تلك الهوة بين إسرائيل والعرب فى هذا المجال .

٤ – انهارت نظرية الأمن الإسرائيلية . . وانهار معها جيل من القادة والجنرالات الإسرائيليين الذين سطعت أسماؤهم وحفرت صورهم فى الوجدان الإسرائيلى وبديهى أن انهيار هؤلاء القادة الذين كانوا المثل الأعلى . . والصورة الذهبية للإسرائيلى . . قد أحدث شرخاً لا يستهان به فى نفس وروح الشاب الإسرائيلى .

ومن النتائج الحاسمة للحرب فى هذا المجال أيضاً أنها أجهزت على معظم الزعماء الذين ينتسبون لجيل الآباء المؤسسين وعلى رأسهم جولدا مائير التى أسقط الطوفان مقعد رئاسة الوزراء من تحتها .

٥ – فقد الجندى الإسرائيلى صورته التى ألحت بها الدعاية الصهيونية على أذهان العالم باعتباره صورة للجندى السوبرمان المتفوق دائماً . . فلقد اكتشف العالم أن هذا الجندى السوبرمان . . انهار وفر واستسلم حين واجهه الجندى العربى .

وبالتالى سقطت أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر وأسطورة مخابراتها التى قالوا إنها من أفضل أجهزة المخابرات فى العالم . باختصار فقدت إسرائيل صورتها كدولة قوية أسطورية (وهذا بالتحديد ما يعبر عنه الفصل الذى تحدثت فيه عن إسرائيل دولة كبرى أم صغرى) .

٦ – من أقسى النتائج على الإسرائيليين . اضطرارهم لإعادة النظر إلى القضية

الفلسطينية فى ضوء معطيات الحرب والتحرك السياسى العربى . فقد ثبت لهم بما لا يقبل الشك أن القضية الفلسطينية كانت ولا تزال أساس الصراع مع العرب ولن يتوقف هذا الصراع ما لم تجد هذه القضية حلا عادلا .

٧ – لم تعد إسرائيل تمثل العصا الغليظة التى تضرب بها أمريكا العرب حين تشاء ردعهم وتأديبهم . بل لقد ثبت أن هذه العصا الغليظة تحتاج لحماية من أمريكا . واتضح أن حجم هذه الحماية يمثل عبئاً على السياسة والاقتصاد الأمريكى .

ونتيجة لذلك قنعت إسرائيل بدور التابع الذليل لأمريكا بعد أن كانت قدوصلت إلى اقتناع كامل بأنها تعتبر نداً لأمريكا وحامية لمصالحها فى المنطقة . والحقيقة أن هذا التقلص الإسرائيلى فى هذه العلاقة سيظل يفرز آثاراً بعيدة الغور والخطورة على إسرائيل .

٨ – كانت تكاليف الحرب عبئاً رهيباً على اقتصادإسرائيل (أكثر من ٨ مليارات ليرة) ، وحيث إنها فرضت نتائجها حالة من الاستعداد واليقظة الدائمة فإن ٥٣٪ من الميزانيات الجديدة خصصت للجيش مما ضاعف تدهور الاقتصاد الإسرائيلى .

٩ – الهجرة من إسرائيل إلى الخارج أو الذين أسرعوا يقطعون تذاكر للسفر ذهاباً دون عودة مع اهتزاز مفهوم الأمن الإسرائيلى ، واهتزاز الصهيونية كعقيدة ودين اهتزت تماماً فكرة الهجرة اليهودية فى الشتات إلى أرض فلسطين .

ولم يكن الأمر هو مجرد ضعف موجات الهجرة إلى إسرائيل ولكنه امتد إلى الوجه الآخر . . حين تزايدت عملية النزوح والهجرة من إسرائيل إلى الخارج .

– وقد كتب أحد الكتاب الإسرائيليين بعد ثمانية أشهر فقط من حرب أكتوبر فى مجلة هآرتس يقول :

« لقد تحولت بعد حرب الغفران إلى متشائم كبير ، وإننى توصلت إلى استنتاج بأن العرب لن يسلموا بوجود إسرائيل الحالى بينهم كرأس جسر أوربى وبعد أن ذاقوا طعم النصر الحلو فى ميدان القتال وطعم كونهم دولة كبرى اقتصادية لن يستريحوا .

(قد يصنعون معنا تسويات لمدة خمس أو عشر سنوات سوف يتعلمون المزيد من عمليات الحرب وحظر البترول وفى المرة القادمة سوف يلقون بكل ذلك فى الصراع النهائى .

. . . . . .

هذا وقد أجرى معهد الأبحاث الاجتماعية فى إسرائيل استطلاعاً حول رغبة الإسرائيليين فى النزوح طرح فيه سؤالا واحداً هو :

– لو كانت لديك فرصة فهل كنت تفضل أن تعيش بقية حياتك خارج دولة إسرائيل ؟

وقد جاءت الإجابة على هذا السؤال – فى قطاع الشباب من طلبة المدارس الثانوية مزعجة للقيادة الإسرائيلية إذ قال أربعون فى المائة ممن أجابوا على الاستطلاع إنهم فعلا يريدون أن يعيشوا خارج إسرائيل ؟

ويقول الدكتور الإسرائيلى دوف التيسور (وهو محاضر كبير فى علم النفس) والاقتصاد فى جامعة برايلان ورئيس قسم البحوث فى معهد البحوث الاجتماعية التجريبية) يقول بعد دراسة قام بها .

إن الذين يريدون النزوح من إسرائيل اليوم بعد حرب أكتوبر ويفكرون بصوت مرتفع يعدون أغلبية بين الجماهير التى تشعر بالانهزامية وهو المعسكر الآخذ فى الانتشار من نهاية الحرب .

إن الشبان من جيل (الصابرا) يريدون بناء مستقبل جديد لهم بعد أن ثارت لديهم التساؤلات بعد الحرب .

« هل لنا مستقبل فى إسرائيل ؟ »

« من نكون ؟ . . وماذا نكون ؟ . . وإلى أين وجهتنا ؟ »

. . . . . .

هذا . . . وإلى جانب النزوح الكامل ، تتزايد عمليات السفر إلى خارج إسرائيل وهو سفر يطول غالباً . . وربما يكون بلا عودة وحينما طرح على وكلاء السفريات فى إسرائيل سؤال يقول « من الذى يسافر هذه الأيام إلى الخارج ؟ سارعوا بالإجابة قائلين :

ومن الذى لا يسافر ؟ . . إن إسرائيل كلها تسافر إلى الخارج . . وأهدأ الذين يطلبون السفر ، يقول لك : « إننى مسافر لأننى أريد التخلص من التوتر » .

. . . . . .

وتضع جريدة هارتس الإسرائيلية فى بحث واسع لها . . هذه الصورة التى تعد نموذجاً لتيار النازحين من إسرائيل بعد طوفان أكتوبر . . تقول الجريدة

« يعتبر » « راف صابار » رجلاً نموذجيًا . إنه يتحدث قليلا ويصيغ أقواله فى وضوح . إن الوقت يجرى به هذه الأيام . إنه يتم الاستعدادات الأخيرة للسفر إلى الولايات المتحدة لقد قرر النزوح . لقد سرح فى الأسبوع الماضى من الاحتياط بعد فترة خدمة دامت فى

سيناء ١٥٠ يوماً وكانت غاية فى القسوة .

و « راف صابار » رقيب مدرعات متزوج وأب لطفلين وهو مولود فى مدينة ريفية بالقرب من تل أبيب منذ ٣٣ سنة ويكسب مرتبه من العمل فى العلاقات العامة وهو يتقاضى ٣٠٠٠ ليرة فى الشهر .

إن حالته الاقتصادية طيبة . . ولكنه مصمم على النزوح . . إنه يريد أن يبدأ حياة جديدة فى الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى الأسابيع التى سبقت تسريحه من الجيش وبعد أن ساد الهدوء فى الجبهة المصرية على أثر توقيع اتفاقية فصـــل القوات أجرى (راف) محادثات طويلة مع رفاقه من أفراد الاحتياط فى العربة نصف المجنزرة وكانت الأقوال التى سمعها تعبر عن الإحساس الذى اجتاح إسرائيل بعد الحرب .

وفى لحظة صدق كان كل منهم يفرغ ما عنده ويتحدث معه بصراحة لقد أبدى كثيرون رغبتهم فى النزوح والهروب من الحروب التى لا تزال تنتظر إسرائيل . .

. . . . . .

ويقول (راف) . .

إن من الصعب جداً أن أعود إلى الحياة العادية التى عرفتها قبل حرب أكتوبر إن الحياة تبدو لى اليوم مختلفة تماماً ، لقد قتل عدد من رفاقى وكنا نعتقد أن جيشنا عظيم ومنتصر وقوى أما الآن فقد جعلنا المصريون نخفض أنوفنا لقد وطئوا كل من فى الجيش لقد اختفت الهالة . . إننا مصابون . . إن الجيش مجروح .

. . . وإننى لا يمكن أن تنمحى من ذاكرتى كل النداءات الأخيرة التى التقطتها باللاسلكى من المواقع الحصينة طلباً للنجدة قبل أن تسقط فى أيدى المصريين « النجدة النجدة المصريون يهاجموننا . بعد قليل سوف يقضون علينا . . إنهم قادمون . . » كانت تلك النداءات تتكرر فى اللاسلكى ثم تصمت الأصوات ويختفى الواحد بعد الآخر .

. . كذلك لن أنسى وعود القيادة لهؤلاء الجنود فى تحصينات بارليف . كانوا يقولون لهم : سوف تأتى على الفور لإنقاذكم » « المساعدات فى الطريق إليكم » .

ومع ذلك لم ينقذهم أحد .

* ماذا كان سيحدث لو كنت أنا شخصياً مكان أحد المحاصرين الذين يصرخون طلباً للنجدة ؟

* ولأى سبب قتل أكثر من ٢٥٠٠ شخص ؟
* هل إسرائيل أفضل من دول أخرى ؟
* لماذا أخجل من النزوح منها ؟ ما العيب فى ذلك ؟
* ما الذى يدفعنى إلى البقاء هنا فى إسرائيل ؟
* ولماذا ؟
* فمن الذى يتذكر كل القتلى والجرحى والمشوهين ؟
* لقد حدث كل شىء كطرفة عين ؟
* من الذى سيعيد أشخاصاً أعزاء علينا ؟
* هل كانت الحرب أمراً اقتضاه الواقع ؟

إننى على أى حال لا أريد دولة كهذه .

لقد نجوت بالصدفة عندما سقطت قذيفة مصرية بجوارى وقتلت زميلى . . إننى لا أريد أن أقتل فى الحرب القادمة بقذيفة قد لا تخطئ الهدف » .

. . . . . .

تلك صورة تجسد موجات النزوح من إسرائيل بعد أن أغرق طوفان أكتوبر تلك المغريات التى كانت تشجع شبابهم على البقاء فيها .

وإننى أستطيع أن أضيف واثقاً أن هناك ألواناً أخرى من النزوح فإن أولئك الذين لم يتمكنوا من النزوح المادى بأنفسهم وأسرهم إلى خارج إسرائيل ، يعانون تماماً من نزوح الثقة والطمأنينة من نفوسهم ، كما أن هناك من يهاجرون هجرة اجتماعية ونفسية . . . فتذهب بهم الصدمات التى أحدثها طوفان أكتوبر إلى مستشفيات الأمراض العصبية والنفسية التى تقول الإحصائيات إن نسبة المترددين عليها والمقيمين فيها تتزايد بشكل مستمر ؟ كما أن هناك من اعتزلوا أسرهم ومجتمعهم . . وآثروا الانطواء والتأمل فى البحر كما قال الكاتب الإسرائيلى « يا هو ناتان جيفن » .

. . . . . .

. . . . . .

ثم أتوقف أنا الآن لأترك المجال – كما أشرت فى البداية لأقلام إسرائيلية وأجنبية تتبادل هى بالتحليل بنتائج طوفان أكتوبر على إسرائيل .

يقول المؤرخ الإسرائيلى يعقوب تلمون (٥٨ سنه – أستاذ التاريخ المعـاصر فى الجامعة العبرية وعضو الأكاديمية الإسرائيلية للعلوم وقد عمل أستاذاً زائراً فى عدة جامعات أمريكية وأوربية كما أنه حائز على جائزة إسرائيل للعلوم الاجتماعية فى سنة ١٩٥٦ على كتابه (مصادر الديموقراطية التوتاليرية) ، وله عدة مؤلفات أخرى ترجم بعضهما إلى (الإنجليزية والفرنسية) يقول هذا الرجل الذى يمثل تلك المكانة العلمية والاجتماعية الكبيرة فى إسرائيل :

« خلال السنوات الأخيرة كان قادتنا البارزون والنشيطون أكثر سخطاً على السياسيين ورجال الإعلام فى العالم كله ، وكانوا يسخرون منهم لأنهم ينذرون من خطر اندلاع القتال والانفجار القريب منا . فقد كان هؤلاء يقولون إن بلدنا إسرائيل وجاراتها مثل برميل البارود وإن السلام العالمى معرض للخطر فى منطقتنا . وقد حرص متحدثونا كثيراً على إقناع العالم بأنه « لا شىء يحترق فى منطقتنا باستثناء معامل تكرير البترول المصرية » (وكان صاحب هذه المقولة السيد موشيه ديان تعليقاً على تحذيرات أولئك السياسيين العالميين وإشارة إلى ضرب الطائرات الإسرائيلية لمعامل تكرير البترول المصرية فى الزيتية فى أثنـاء حرب الاستنزاف) وقد زعم متحدثونا أيضاً أنه إذا أظهر العرب من حين لآخر دلائل روح القتال والاستعداد الحربى تكفى بضع ضربات وإسقاط دستة من طائراتهم ، ثم توجيه إغارة شديدة عليهم لتلقينهم درساً يمتد مفعوله لأشهر كثيرة على الأقل فالعرب لن يجرءوا على رفع رؤوسهم وإذا جن جنونهم وانبروا إلى حرب فعلية فسيكون مصيرهم مريراً على يد جيش الدفاع الإسرائيلى المتأهب على امتداد الحدود الواسعة والمثالية والخطوط المحصنة وغير القابلة للاحتراق والبعيدة عن تجمعاتنا السكانية . وقد أكد لنا المصدر نفسه مراراً وتكراراً (وكانت آخر مرة قبل حرب أكتوبر بأيام قليلة) أكد أنه لن يكون هناك خوف من اندلاع الحرب لعشر سنوات على الأقل وأن حالة اللاسلم واللاحرب ستستمر عشرين أو ثلاثين سنة وفى تلك الأثناء يأخذ التفاوت التكنولوجى بيننا وبين أعدائنا فى الاتساع .

. . معاذ الله أن تفوت هذه الفرصة :

ويبدو أن هذا المفهوم قد رسخته الظروف بعد صدام حسين مع المخربين (الفلسطينيين) فى شرق الأردن وبعد خروج الروس من مصر وتغلبنا على الإرهاب الفلسطينى وتوقف

الأمريكيين عن مضايقتنا بمشروع روجرز . فلقد بدا أن البلد قد هدأ وكنت تستطيع أن تستمع إلى تصريحات عديدة بأنه قام – فى الحقيقة – سلام واقعى . وقيل : « لا تبدو ملحوظات ولا تثيروا ولا تخلقوا صعاباً بالمطالبة بالمفاوضات والمعاهدات المكتوبة والموقعة التى سنضطر فيهما إلى التنازل عن القليل أو الكثير فحالة اللاسلم واللاحرب تبدو لنا مثالية ونستطيع أن نستوطن كل مكان وبسرعة معاذ الله أن نفوت هذه الفرصة التاريخية .

وأصبح الاطمئنان لنظرية الأمن عقيدة صوفية :

بالإمكان القول أن الاطمئنان لنظرية الأمن أصبح جزءاً من عقيدة صوفية ومبدأ أساسيًّا لبرنامج سياسى وتحولت فى النهاية إلى مصلحة راسخة . . وقد ترسخت هذه الطمأنينة بنبوءة تكامل الوطن وبالغطرسة وبنظرية التفوق المطلق للجيش الإسرائيلى والتخلف الأبدى للعرب وبالمسلمات حول حدود الأمن المثالية التى أتيحت لنا وغدت هذه الطمأنينة من جانبها تلك المسلمات .

ماذا حدث أو ما هى نتائج حرب أكتوبر على إسرائيل :

بعد أن قام المؤرخ الإسرائيلى (يعقوب تلمون) بهذا التحليل للموقف النفسى والعسكرى والسياسى داخل إسرائيل بعد حرب يونيو ١٩٦٧ يصل فى دراسته إلى ما حدث بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ فيقول :

« لقد تبددت افتراضات أساسية ومسلمات وتوقعات كانت بمثابة لبنات فى بناء المفهوم الشامل . تبددت جميعها الواحدة بعد الأخرى ؟

١ – لم تمنع الحدود الآمنة (المزعومة) تغلغل مئات الألوف من جيوش مصر وسوريا بمعداتهم الثقيلة بين ليلة وضحاها ونحن لا ندرى ماذا كان سيحدث لنا لو لم تلق حكومة الولايات المتحدة بكل ثقلها فى كفة الميزان لصالحنا .

٢ – ظهرت وحدة عربية أكثر تراصاً وفعالية مما كانت عليه فى أى وقت مضى وهى تملك قوة كبيرة بصورة احتكار النفط (كم أكثرنا الاستخفاف بأهميته حتى أننا أنكرنا وجود مشكلة الوقود) وكانت المساعدات المالية التى قدمتها دول النفط العربية لدول المواجهة أداة هائلة إن هذه الحرب أثبتت أن مواقفنا القديمة من العرب كانت بمثابة الأسمنت للقومية العربية .

٣ – كانت سياستنا كلها خلال السنوات الأخيرة– كما ذكرنا – قائمة على الافتراض إننا سننجح فى دعم أعمالنا بالصورة التى نريدها حتى الضم الكامل من خلال تجاهل ما سيقوله (الغوييم) غير اليهـود وبكلمات أخرى ستكون لدينا القوة والقدرة على إملاء إرادتنا على العالم بأسره .

أين نقف اليوم بعد حرب ١٩٧٣ ؟

(ا) جميع الدول الأفريقية التى كنا نتباهى بالعلاقات معها قطعت كل علاقاتها بنا . . واتحدت دول أوربا الغربية لمنع المساعدات عنا ووضع قيد على طموحاتنا .

(ب) كان الاعتقاد السائد بأن الولايات المتحدة بحاجة إلينا فى الحقيقة بدرجة لا تقل وربما تزيد على حاجتنا إليها قائماً على أساس أن الاستراتيجية العالمية لأمريكا تفرض عليها أن تمنع الروس من الحصول على موطئ قدم فى منطقتنا وفى المحيط الهندى وفى أفريقيا ونحن الدعامة الرئيسية المستقرة الوحيدة للنظام الدفاعى الأمريكى من مراكش حتى الهند وربما حتى اليابان .

هذا ما كان . . ولكن نتائج هذه الحرب جعلت الولايات المتحدة تعاملنا كدولة تابعة مزعجة ينبغى إجبارها على قبول الطاعة الإملاء .

وعندما تكلم وزير الخارجية الأمريكى هنرى كيسنجر عن إمكان الضمانة الأمريكية لإسرائيل حدد نواحى العلاقة الخاصة بينها وبين أمريكا : « علاقة عاطفية وكون إسرائيل ديموقراطية وحرص الولايات المتحدة على منع القضاء على دوله . »

. . ولم يذكر كيسنجر أى شىء عن مصالح سياسية أو استراتيجية مشتركة .

(حـ) بعد خمس وعشرين سنة من انضمامنا إلى عائلة الشعوب بافتخار شديد على موجة من العطف الدولى المتحمس كمتساوين بين متساوين أصبحنا منبوذين بين الشعوب .

(د) اتضح أنه بدلا من أن نكون حماة وأعواناً ومنقذين ليهود الشتات فى أنحاء العالم أصبحت دولتنا مرتبطة بيهود العالم ، معتمدة على إنقاذهم لها .

(هـ) إن علينا الآن أن نشد الأحزمة على بطوننا ونعتمد على الجبايات البائسة (من يهود العالم) والمنح الأمريكية .

. . . . . .

٤ – تقوضت أسطورة قومية عظيمة وهى أسطورة جيش الدفاع الإسرائيلى .

إفلاس الشركة الأمريكية – الإسرائيلية للمصالح المشتركة

ونتائج أخرى

يرجع الارتباط الذى حدث بين مصالح الولايات المتحدة الأمريكية ومصالح وقوة إسرائيل إلى عهد بعيد . يبدأ مع إنشاء دولة إسرائيل ذاتها . لكن هذا الارتباط اتخذ شكله العلنى تماماً . . والقوى جداً قبيل حرب يونية ١٩٦٧ ، ثم كانت تلك الصدامات بين حكومة الأردن ومنظمات المقاومة الفلسطينية فى عام ١٩٧٠ ، لتتأكد أكثر : الشركة الأمريكية – الإسرائيلية للمصالح المشتركة ، حين أزمعت سوريا التدخل لمساندة المنظمات الفلسطينية ، فتحركت الولايات المتحدة بتهديد واضح ، ثم بمساعدات عسكرية ضخمة لإسرائيل . . حتى يتوقف التدخل السورى وبذلك تحافظ الولايات المتحدة على النظام القائم الذى تعتبر الإخلال به انتصاراً للاتحاد السوفييتى ، وفى نفس الوقت تحافظ إسرائيل على صورتها باعتبارها القوة الرادعة واليد الغليظة فى المنطقة كما تؤمن نفسها من احتمالات وجود القوات السورية مع المنظمات الفلسطينية على الحدود الأردنية .

ويقول زئيف شيف المعلق والكاتب الإسرائيلى :

كان دور إسرائيل فى هذه « الشركة » هو الحراسة العسكرية فى المنطقة على الوضع العسكرى والسياسى القائم ، وكان أبرز جوانب هذا الدور هو منع المصريين بأى ثمن من عبور القناة والسيطرة عليها .

ولكن إسرائيل فشلت فى هذا الدور . ونتيجة لذلك فقد أفسدت الشركة الضرورية جداً بالنسبة لها » .

ثم ينتقل الكاتب الإسرائيلى الشهير إلى المزيد من نتائج حرب أكتوبر فيقول :

الشكوك وفقدان الثقة :

« لقد زعزعت الحرب إسرائيل من أساسها ، فبدلاً من الثقة المفرطة ، جاءت الشكوك العميقة وقد برزت هذه الشكوك بعد الحرب لدى القادة بشكل خاص ،

كما تزعزعت الثقة بالنفس . وفجأة ثارت أسئلة كانت موضوعة على الرف طوال الوقت . هل سنبقى نقاتل إلى الأبد ؟ وهل هناك أمل للصمود فى حرب جديدة فى الوقت الذى تتزايد فيه فروق الكميات لصالح العرب ، وفى الوقت الذى يسيطرون فيه على الكنوز الطبيعية وعلى مخزون النفط ؟

لقد أظهرت هذه الحرب – مرة أخرى – الخطر على وجود الدولة ، كما أبرزت مخاوف قديمة » .

انهيار التقاليد الراسخة :

« فى داخل الصدمة الكبرى أدت الحرب أيضاً إلى أزمات صغيرة ولكنها ذات صدى هائل ، وقد حدثت إحدى هذه الأزمات فى الجيش الإسرائيلى ، فبعد سنين من محافظة الجيش على تقليد عدم ترك جرحاه فى ساحة المعركة ، ترك هذه المرة جرحى وأصحاء فى الأرض التى سيطر عليها العدو ، كما ترك دبابات مع أطقمها سواء الجرحى منهم أو غير الجرحى . وواجه القادة العسكريين مشكلة خطيرة وهى هل يضحون برجال آخرين من أجل تخليص المصابين ؟ وفى نهاية المعارك كان هناك المئات من أسماء الجنود فى قائمة المفقودين » .

وأظهرت الحرب نكسة أخرى لإسرائيل :

أظهرت حرب يوم الغفران نكسة أخرى ، فقد كشفت الزعامة الإسرائيلية بكامل تقصيرها ولم يكن هناك من يتحدث إلى الشعب فى أحلك ساعاته ، وبالرغم من أن وزير الدفاع موشيه ديان حاول أن ينفى – بعد الحرب – ما قيل عن انهياره خلال المعارك ، فإنه تبين أن ديان أكتوبر (١٩٧٣) لم يكن هو ديان يونية (١٩٦٧) .

ولقد أدت الحرب إلى أزمة ثقة . فالشعب لا يثق بزعمائه . وهذه الأزمة فى الثقة أكثر عمقاً ومرتبطة بمسائل كثيرة . لقد كان الجيش صورة للوهن الفكرى وتدهور القيم الأخلاقية ولم يكن « شيئاً آخر » كما كان يقال عنه ! !

إسرائيل تعود إلى مراحلها الأولى :

إن دولة إسرائيل كان الخطر يتهدد وجودها أكثر من أى دولة أخرى .

ولقد أكدت هذه الحرب أن الإسرائيليين شعب صغير .

وإن مصدر الهزة التى واجهت إسرائيل فى الأساس هو فى الإحساس بأن الدولة قد عادت فجأة إلى مراحلها الأولى ، إلى وضعها الأول فلقد وجدت إسرائيل نفسها فجأة – بعد حرب الغفران – تقف فجأة أمام مخاطر تحيط بوجودها . . . وهكذا تبين لإسرائيل أنه لن تكون لها إمكانية الردع بعد ذلك . .

فلقد قوبلت قوات قوة الردع الإسرائيلية التى أحرزت بصورة رئيسية بفضل سلاحها الجوى ، قوبلت بردع عربى آخر مضاد . . كما أن صواريخ (سكاد) هى التى ردعت إسرائيل عن القيام بعمليات فى العمق .

وفى أعقاب هذا التحول عادت إسرائيل إلى الوضع الذى كانت عليه فى الخمسينيات ، برغم الفوارق التى حدثت خلال الزمن فى قدرة القوات وفى الظروف الجغرافية ، وأحد أعراض ذلك هو استعداد إسرائيل بعد حرب يوم الغفران لتغيير موقفها من قوات الأمم المتحدة ، فبعد حرب ١٩٥٦ كانت مصر هى التى أرادت التستر من وراء قوات الأمم المتحدة ، وخصصت لها مساحات من الأرض المصرية ، والآن – بعد حرب ١٩٧٣ – أصبحت إسرائيل هى التى تجد قناعة فى منطقة الفصل بينها وبين الجيش المصرى ، والتى تتواجد فيها قوات الطوارئ الدولية وهذا ما يؤكد إحساسها بأنها فقدت الكثير من قوة الردع التى كانت لديها ويعتبر هذا مفترق طرق فى النزاع العربى الإسرائيلى » .

العرب يحطمون حاجز الخوف :

لقد اخترق العرب حاجز الخوف ، ومنذ الحرب والعرب يقولون إن من ينجح مرة يمكنه أن ينجح مرة أخرى كما يمكنه القضاء على عدوه (إسرائيل) على مراحل . والرئيس السادات أصبح يتحدث بعد الحرب عن السلام حسب شروطه هو ، ومن ضمنها إعادة الحقوق الشرعية للفلسطينيين .

فى بعض الحالات قام الإسرائيليون بنقل جثث قتلاهم [لكنهم تخلوا كثيراً عن أداء هذا الواجب المقدس مثلما تراجعوا عن محاولات إنقاذ أعداد من جرحاهم] ويقول مؤلفو كتاب «حرب يوم كيبور» إن نسبة القتلى من القوات الإسرائيلية كانت عالية وثقيلة ، حتى أن قتلاهم فى يوم واحد كان عددهم يفوق ما خسرته إسرائيل فى حرب ١٩٤٨

الجيوش العربية تدخل عصراً جديداً :

لقد دخلت حرب ١٩٧٣ فى عدة مجالات بمثابة « حرب أزرار » أكثر مما توقعت إسرائيل فلقد كانت حرباً إليكترونية حقيقية . كما ظهر فى شبكات الصواريخ المضادة للطائرات وفى الأسلحه التى استخدمت ضدها فى القتال البحرى ، وفى الصواريخ الجديدة التى استخدمها المصريون فى ضرب محطة الردار ، وأيضاً فى التشويش الإليكترونى الذى استخدموه فى خلال المعارك ثم فى التصنت المكثف لشبكات الاتصال .

إن الجيوش العربية – بذلك – دخلت عصراً جديداً ، وخطت خطوة كبيرة إلى الأمام فى المجال الإليكترونى – منذ عام ١٩٦٧ . ولقد تحدثوا فى إسرائيل . خلال حرب الاستنزاف عن (صيف إليكترونى) أما العرب والمصريون فى مقدمتهم ، فقد قرروا الاستعداد الفعلى لحرب إليكترونية وقاموا بشراء معدات حربية حديثة ، ودربوا عليها مقاتليهم جيداً . وقد نجحوا فعلاً فى استخدامها . ولذلك فإن الاتجاه القائم فى إسرائيل لرؤية خصومها متجمدين فى كفاءتهم بحيث يقوم الروس بعمل كل شىء بدلاً منهم أصبح محتماً أن يتغير ، بعد نجاح العرب فى التقدم بسبب تحسن جهازهم الفنى واستيعابهم للمعدات الحديثة .

قدرة العرب على شن حرب شاملة :

أثبتت الحرب أيضاً أن العرب قد فكروا بمفاهيم الحرب الشاملة ، عندما أغلقوا مضيق باب المندب فى وجه الملاحة الإسرائيلية . كما فعلوا فى حرب ١٩٦٧ عندما أغلقوا مضايق تيران .

ولقد اعتمد الردع الإسرائيلى – حتى حرب ١٩٧٣ – على الاعتقاد بأن المصريين لن يجرؤوا على الإيقاع بالملاحة بعيداً عن حدود الدولة أيضاً وذلك لأنهم سيخشون تحول الحرب المحدودة إلى حرب شاملة بما فى ذلك من امتداد ردود الفعل الإسرائيلية إلى أماكن فى العمق كالإسكندرية مثلاً .

ولكن تقدير العرب كان هو التقدير السليم ، واضطرت قيادتنا إلى الاكتفاء فى حربها مع مصر بعمليات الجبهة » .

* * *

وهذا كاتب إسرائيلى آخر هو الدكتور « أمنون كابليوك » يتناول بعض آثار الطوفان الأكتوبرى العربى . . مركزاً على انهيار الأساطير الإسرائيلية فيقول « كابليوك » فى كتابه « إسرائيل . . نهاية الأساطير . »

عشر أساطير حطمتها الحرب :

« إن حرب أكتوبر قد حطمت عشر أساطير إسرائيلية هى » :

(١) أسطورة الأمر الواقع :

لقد انتهجت إسرائيل سياسة الأمر الواقع فترة طويلة من تاريخها . وكانت تتوقع استمرار الوضع الناجم عن حرب يونية ١٩٦٧ عشرين سنة أخرى يتحول معها السلام إلى استسلام عربى . . وقد برهنت حرب أكتوبر على أن الأمر الواقع لم يمنع شن الحرب فحسب ، بل كان سببها المباشر .

(٢) أسطورة الحدود الآمنة التى تردع العرب :

كانت أفكار وتصريحات القادة الإسرائيليين تقول « إن خطوط وقف النار تمثل حدود الأمن المثالية التى تردع العرب عن مجرد التفكير فى مهاجمة إسرائيل بفضل عمقهـا الاستراتيجى . ولقد أتخم الرأى العام الإسرائيلى بعد يونية ١٩٦٧ بتصريحات عن أهمية الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة ، وأقيمت المستعمرات بالفعل ، ثم مع الدقائق الأولى من حرب أكتوبر كان الشغل الشاغل هو إخلاء سكان مستعمرات الجولان السبع عشرة وبغير جدوى لأن المدفعية السورية كانت تقوم فى ذلك الوقت بعملية « حصاد » .

كذلك ثبت أن التمسك بشرم الشيخ التى كان يقول عنها موشيه ديان (إننى أفضل شرم الشيخ بدون سلام على سلام بدون شرم الشيخ) ثبت أن ذلك التمسك لم يكن مفيداً فقد جاء الحصار من (باب المندب) .

(٣) أسطورة مادية :

وهى الأسطورة التى طالما رددتها إسرائيل عن أن خط بارليف لا يمكن اقتحامه .

ولقد جاءت حرب أكتوبر لكى يتبدد هذا الخط فى ساعات ، وتتبدد معه الـ ١٥٠٠ مليون ليرة إسرائيلية التى أنفقت على إنشائه (هذا بخلاف المصاريف غير المنظورة) .

(٤) أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية :

كانت أسطورة المخابرات الإسرائيلية الخرافية المعصومة من الخطأ أمراً غير قابل لمجرد المناقشة . وربما كانت للمخابرات الإسرائيلية أرصدة خارجية سابقة أعطتها هذه « الزهوة » والهالة الأسطورية مثل عملية خطف « إيخمان » سنة ١٩٦٠ وشحنه إلى إسرائيل ، ومثل الاعتداءات على العلماء الألمان فى مصر ، ومثل الإعداد لحرب يونية ١٩٦٧ ، ومثل سرقة الزوارق الحربية الخمسة من ميناء شربورج الفرنسية سنة ١٩٦٩ ، ولكن هذه المخابرات (الإسرائيلية) أفلست فجأة وعجزت عن كشف نوايا المصريين والسوريين قبيل حرب أكتوبر ، وفوجئت بالحرب تماماً مثل رجل الشارع الإسرائيلى .

(٥) أسطورة أن العرب لا يفهمون سوى لغة القوة :

وقد تمثلت هذه الأسطورة فى ضرورة أن نلقن العرب عند وقوع أى اعتداء عربى – ولو كان اعتداء صغيراً أو عارضاً أو حتى لو كان رداً على اعتداءات إسرائيلية – نلقن العرب درساً قاسياً ، ونرغمهم على دفع الثمن ، ونعاقبهم بصورة لا يتجاسرون بعدها على القيام بأية محاولة جديدة .

وبعبارة أخرى أن الذى يسكت العرب ويخيفهم هو سياسة القوة والردع (مثل تدمير معامل تكرير البترول بالزيتية فى السويس خلال أكتوبر ١٩٦٧ ، والهجوم على بعض قادة الفلسطينيين داخل بيروت ، وإسقاط الطائرة الليبية ، والغارات المستمرة على جنوب لبنان ، وافتعال معركة جوية مع سوريا يتم فيها إسقاط ١٣ طائرة ميج) .

ولقد تهاوت هذه الأسطورة عندما اتضح أن هذه الأفعال كانت تزيد من تصميم وإصرار العرب ، ثم جاءت حرب أكتوبر . . لتظهر أنهم لا يخشون القوة . . بل يحطمونها ويظهرون قوتهم هم . . »

(٦) أسطورة أن العرب لم يخلقوا للحرب :

ونحن نحتاج إلى كتاب ضخم كى ندون كل الاستهانات وكلمات التحقير

التى تلفظ بها جنرالاتنا العاملون منهم والمحالون إلى الاحتياط حول الجندى العربى وضعف الجيوش العربية .

إلى أن جاءت حرب أكتوبر وبعد ساعاتها الكبرى : المقاتل العربى .

فوجد الجندى الإسرائيلى نفسه امام مقاتل عربى شجاع منضبط لديه قدرة قتالية ممتازة بفضل التدريب الجيد مقاتل مستعد للتضحية بكل شىء .

وكانت المفاجأة أكبر تجاه الجندى المصرى الذى أبدى بسالة فائقة واقتداراً عظيماً » .

(٧) أسطورة تفتت العالم العربى واستحالة استخدام سلاح البترول :

كانت هذه الأسطورة راسخة فى أذهان القادة فى إسرائيل ، ولم يكن أحد ينظر إلى ما يقال عن سلاح البترول إلا على أنه مجرد دعاية .

واتضح أن العرب فى الأزمات يقفون صفًّا واحداً ، ويصفون خلافاتهم ولقد كنا نقول فى إسرائيل (لكى يتمكن العرب من مهاجمة إسرائيل بحظ من النجاح عليهم أن يتحدوا أولاً . وهذا محض خيال فهم ممزقون دائماً وأبداً بخلافاتهم الداخلية ، ولهذا فهم عاجزون عن وضع سياسة منسقة ، فكيف إذن يستطيعون أن يشنوا حرباً جماعية ؟ ؟)

لقد كنا نقول : إن العرب (بهذه الصورة) هم أحسن حلفائنا ، ولكن حرب أكتوبر ألغت هذه الكلمة من القاموس السياسى الإسرائيلى كما أن العرب أدركوا أهمية سلاح البترول لهم ، واستخدموه بفعالية وجرأة وفى توقيت مناسب .

(٨) الأسطورة القائلة بأن الفلسطينيين فى الأرض المحتلة يرضخون وسيرضخون :

وكانت ثمة شواهد فى المعاملات تقوى خيوط تلك الأسطورة ، ومن هنا نشأت التصريحات التى تخصص فيها قادة إسرائيل مثل : « لا يوجد هناك شىء اسمه فلسطين . الفلسطينيون فى (إسرائيل) استكانوا لوضعهم ولاستمرار السيطرة الإسرائيلية عليهم إلى ما لا نهاية .

وجاءت حرب أكتوبر وزلزلت هذه الأسطورة أيضاً ، فإذا بالسكان العرب يثورون ، وتكاثرت الأعمال الفدائية داخل المدن والمستعمرات .

وبلغ عدد الفدائيين العاملين داخل إسرائيل آلافاً ، وهوجمت وقصفت (٤٤)

مستعمرة إسرائيلية [١١٦] مرة خلال تلك المرحلة . .

إذن يوجد شيء هناك اسمه فلسطين وفلسطينيون . .

(٩) أسطورة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل :

أكد القادة الإسرائيليون مرات عديدة أن الزمن يعمل لصالح إسرائيل ، ثم جاء زمن ثبت فيه أن الزمن ليس ملكاً خالصاً لإسرائيل وأن جمود القيادة الإسرائيلية جعلها لم تفهم أن الزمن يدور فى فراغ وأنه مرتبط بعوامل عالمية كثيرة .

(١٠) أسطورة « المهم ما يفعله اليهود » :

وتلك أسطورة من صنع بن جوريون مؤسس إسرائيل الذى كان يقول دائماً « لا يهم ما تقوله الأمم . المهم ما يفعله اليهود » .

وأثبتت حرب أكتوبر أن ما يفعله اليهود ليس مهماً وليس هو كل شيء وأن هناك إرادة أخرى ومضادة تستطيع أن تفرض نفسها إذا أرادت .

ولقد كانت الصدمة فى سقوط تلك الأسطورة فوق الاحتمال ، وقد يعبر عنها ما قاله أحد جنود جيش الدفاع الإسرائيلى بعد عودته من الحرب . . حين أخذ يتمتم لأحد الصحفيين ويقول فى ذهول :

« قبل ثلاثة أشهر كنت أعتقد أننى جزء من القوة المتفوقة فى الشرق الأوسط وعندما هدد السادات بالحرب ضحكت وقلت لنفسى :

« يا للسخف . . إننا خلال ساعتين سنكون فى دمشق ، وخلال ثلاث ساعات سنكون فى القاهرة .

لقد استهنت بالعرب . . لماذا ؟ لأننى تعلمت فى المدارس أن أحتقرهم تعلمت أننا الأقوياء وهم الضعفاء . كنت أعتقد أنه لا أهمية لما تقوله الأمم . والمهم هو ما يفعله اليهود » .

رسالة إلى جولد مائير

وهذه رؤية إسرائيلية أخرى لنتائج طوفان أكتوبر ، اتخذت شكل رسالة نشرت فى إحدى الصحف الإسرائيلية التى قدمت لها ثم قدمتها بالصورة التالية :

فى ١٩٧٣/١٢/١٤ قام الدكتور بنيامين شازار « محاضر التاريخ بالجامعة العبرية بزيارة لمقابر الجنود الإسرائيليين فى جبهة السويس ، وقد استخلص من هذه الزيارة دروساً رأى من واجبه كأستاذ جامعى أن يوجهها إلى القادة الإسرائيليين وليس إلى طلبته ، على أساس أنهم مسئولون عن تسيير دفة الأمور فى البلاد .

. . . وقد صاغ الدكتور (بنيامين) هذه الدروس فى صورة رسالة بعث بها إلى جولد مائير رئيسة الوزراء فى ذلك الوقت .

وهذا نص الرسالة :

سيدتى . . رئيسة الحكومة :

. . . لقد ثبت أن تفوقنا العسكرى ليس مطلقاً ، وأن الحدود الآمنة المثالية قد انهارت خلال فترة وجيزة ، وأن قناة السويس ليست حاجزاً من الطراز الأول ضد الدبابات وأن القادة والجنود العرب لم يتصرفوا كما كنا نتصور ، وفى نفس الوقت فإن عدداً من قادتنا العسكريين ارتكبوا أفدح الأخطاء ، وذلك حين ظنوا أنهم يخوضون حرباً على غرار حرب ١٩٦٧ .

إن العرب قد تغلبوا على قيود الخوف ، وأن على الإسرائيليين أن يتغلبوا على قيود الشك فى ذلك .

إن هناك طريقاً واحداً فقط لوضع حد لفقدان الروح المعنوية ولمعالجة الذهول الذى يصيب الإسرائيليين بالشلل وقد رأوا كيف انهار كل ما كانوا يؤمنون به .

هذا الطريق – يا سيدتى – هو الاعتراف العلنى والمخلص بالأخطاء ، والتوجه بإخلاص ورضى نحو التسوية السلمية اللازمة » .

(المخلص)

د. بنيامين شازار

ويقول يشعياهو بن فورات وزملاؤه فى كتابهم المحدال :

« هددت حرب الغفران ، خلال الأيام الأولى ، وجود دولة إسرائيل فى الصميم . كما كانت إسرائيل فى وضع حرج من الناحية السياسية أيضاً . فمنذ نشوب الحرب وحتى الآن . تقف إسرائيل معزولة فى الساحة الدولية ، ومعتمدة بصورة مطلقة على حسن نية حكومة الولايات المتحدة . وقطعت معظم الدول الأفريقية علاقاتها بنا . وحكومات دول أوربـا الغربية التى رضخت لابتزاز سلاح النفط الذى استخدمته الدول العربية ، فضلت الحصول على النفط عن التضامن مع إسرائيل .

. . . . . .

لقد انهار خط الدفاع السياسى لإسرائيل بقوة . عند ما سقط خط بارليف فى سيناء كانت مأساة ومع ذلك فسقوط الخط العسكرى كان أهون إذا ما قورن بسقوط الخط السياسى لإسرائيل . الذى تركها مكشوفة دون دعم سياسى ، ودون تفهم لموقفها وبالذات فى هذا الوقت المصيرى جداً للدولة .

لقد كان هذا السقوط ساحقاً ومطلقاً ومأساويًّا .

. . . . . .

ثم ننتقل إلى أكثر من تحليل لخبراء وكتاب عسكريين عالميين لنتائج حرب أكتوبر :

[ما من حدث خلال ربع القرن الأخير استطاع أن يهز العالم ، ويحركه ، ويؤثر فيه بقسوة بمثل ما استطاعت هذه الثمانية عشر يوماً التى استغرقتها الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة أن تفعله .

ولم يحصل العرب فى وقت من الأوقات على تأييد العالم وإعجابه بمثل ما حصلوا عليه فى هذه الحرب .فلقد تولدت عن عبور الجيش المصرى لقناة السويس ، وتقدم القوات السورية فى الجولان قوة دفع كافية لجعل القوى العظمى ، وأوربـا الغربية ، ومجموعة الدول غير المنحازة والدول الأفريقية ، تشعر فى ساعات معدودة بتأثير هذا الحدث عليها . فقطعت (٢٩) دولة علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل ، وأعلنت دول عدم الانحياز تأييدها غير المشروط للعرب ، ووجدت دول غرب أوربا نفسها مدفوعة بحـكم مصالحها – بعد استخدام سلاح البترول العربى فى الحرب – إلى التحول

جولدا مائير . . .
لم تستطع أن تبكى ! !

كانت إسرائيل تعتبر سلاحها الجوى رمزاً لقوتها . . ولذلك كان لتساقط طائراتها صدى مؤلم ودلالة مخيفة .

قالوا إنه إله الحرب ومعشوق إسرائيل وكان انهياره نهاية لأسطورته

عن موقفها التقليدى المؤيد لإسرائيل . وتحرك مجلس الأمن فى القضية لأول مرة بشكل جدى منذ ٢٢ عاماً ، وتوترت علاقات أمريكا بحلفائها الأوربيين بسبب وقوفها إلى جانب إسرائيل ، حتى أنها لم تجد سوى جزر الأزور البرتغالية طريقًا لمد جسرها الجوى .

. . . . . .

ولقد كان فى مقدمة العوامل التى أحدثت هذا التأثير كله ، بغير شك ، المظهر الذى بدت عليه القوات المصرية والسورية فى ميادين القتال ، ومستوى الأداء ، والروح المعنوية العالية التى تحلت بها ، وكميات وأنواع الأسلحة التى استخدمتها وأجادت استخدامها بطريقة أثارت دهشة كافة الخبراء العسكريين فى العالم فضلاً عن دهشة الإسرائيليين أنفسهم . وفى المرحلة الأولى من الحرب وخلال الأسبوعين الأول – والثانى أبلت الجيوش العربية بلاء حسناً وليس من شك فى أن ما تحقق خلال هذه الأيام سيظل مفخرة للعسكرية العربية وأجيالها القادمة على طول الزمان .

وربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية هى أول من فطن إلى ما أسفرت عنه حرب أكتوبر من تطورات ومتغيرات كاملة شاملة ، ولذلك جاءت استجابتها سريعة ، فلقد انزعج الأمريكيون من اندلاع القتال يوم (٦) أكتوبر ، وتابعوا نتائجه بقلق ، لكن ما أثار قلقهم على وجه التحديد لم يكن التقدم المدهش للقوات المصرية ولا حجم الخسائر التى منيت بها إسرائيل فى الأرواح والعتاد ، أو إخفاق إسرائيل فى الدفاع عن خط بارليف والاحتفاظ به ، أوحتى فقدانها لمئات من طائرات الفانتوم والسكاى هوك وإنما كان ما أثار قلقهم فى الأساس هو أن العرب أصبحوا يمسكون قضيتهم فى أيديهم ، وباتوا يمتلكون القدرة – ولأول مرة – على المبادرة واختيار الوقت والمكان المناسبين لبدء تحركهم .

. . لقد عاشت أمريكا دائماً على اعتقاد أن التضامن العربى لن يكون حقيقة يوماً ما . وأنه يكفيهم تسليح إسرائيل لكى يضمنوا مصالحهم فى المنطقة ولذلك كان من الصعب أن تصدق أن دولاً مختلفة كالجزائر والمغرب وتونس والسودان وليبيا ستسارع إلى التنافس على مساعدة مصر وسوريا فى الحرب ، وأن سلاح البترول العربى سيدخل المعركة .

. . وهكذا تفقد إسرائيل – لأول مرة منذ قيامها – دور حامى المصالح الأمريكية

بل إنها بدلاً من أن تحمى هذه المصالح ، أصبحت هى نفسها فى حاجة إلى حماية أمريكية عاجلة ! !]

(توقيع)
الكولونيل بريج كومار نارايان
فى كتابه « الحرب الرابعة »

* * *

« لقد تركت حرب أكتوبر آثاراً عميقة ليس على الشرق الأوسط ودوله فحسب حيث بددت عدداً من الأساطير والأوهام ، وإنما أيضاً على حلف الأطلنطى حيث أدت إلى ظهور اتجاهات فى الفكر العسكرى ، وهى اتجاهات كانت فى بعض الحالات كامنة منذ الحرب العالمية الثانية ، ذلك لأن بعض النظريات والمفاهيم التى ظلت مقبولة لفترة طويلة بدأت تتعرض للشك فى قيمتها ومن بينها الهدف من إنشاء حلف الأطلنطى ذاته .

كما أن حرب أكتوبر تركت آثارها ليس على الإستراتيجية العربية والإستراتيجية الإسرائيلية والنظريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وإنما تركتها أيضاً على عوامل أخرى مثل الروح المعنوية واستخدام أسلحة معينة فى ميدان القتال ، وتصعيد استخدام — الأسلحة الإليكترونية وقد شهدت هذه الحرب بعث المقاتل العربى باستعادته لثقته فى نفسه وقدراته .

لقد أحدثت حرب أكتوبر عدداً من التغييرات فى الغرب أبرزها أن حلف الأطلنطى أصيب بشرخ كبير جعله هشًّا وما يزال كذلك حتى الآن . فقد كانت هذه الحرب بمثابة صدمة للحلف الأطلنطى . . وخاصة حينما طلبت أمريكا من حلفائها أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط والتزويد بالوقود لتمكينها من إقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الإمدادات والأسلحة والذخائر الحيوية من أمريكا إلى إسرائيل ، اعتذرت بعض الدول الحليفة عن عدم تقديم هذه التسهيلات ، ورفضت الدول الأخرى رفضاً صريحاً ولم تتمكن أمريكا من إقامة جسرها الجوى إلا باستخدام مطار واحد فى جزر الأزور — بعد أن ساومت حكومة البرتغال .

ومن جهة أخرى . . كانت السرية — التى أحاطت بها أمريكا جسرها الجوى الضخم دون أن تكلف نفسها بواجب إبلاغ الدول التى كان هذا المخزون موجوداً فى أراضيها

بما كانت تفعله – سبباً آخر فى تساؤل هذه الدول عما إذا كانت مصالح أمريكا الثنائية أهم لديها من الهدف من الحلف ذاته .

الخبير البريطانى العسكرى
أدجار أوبلانس

كان الرأى العام الغربى مهيأ دائماً لتوقع أسوأ النتائج من الجانب العربى ، لأنه كان مبهوراً بالإسرائيليين الذين بدوا من قبل وكأنهم فوق مستوى البشر . ولذلك فإن حرب أكتوبر أحدثت تأثيرات ضخمة . ومما يدعو للسخرية أن أصدقاء إسرائيل الذين بذلوا الكثير منذ عام ١٩٦٧ فى سبيل تشويه الحقيقة . . ووضع العرب فى تلك الصورة وإسرائيل فى الصورة المقابلة . . قد أسهموا بدورهم فى ضخامة هذه النتائج .

فبالإضافة إلى تحسن صورة العرب من خلال معاركهم فى سيناء وعلى الجولان ، تعرضت صورة إسرائيل لإعادة نظر وتقييم بالغة العنف والقسوة .

إن ما حدث لإسرائيل وما قاد إلى سقوط السيدة جولد مائير والجنرال ديان وبالتالى إلى نهاية عهد كامل كانت تسيطر فيه على الحياة السياسية فى إسرائيل المبادئ – الصارمة للصهيونية الأولى . . أمر لم يشعر به الإسرائيليون فقط . . وإنما أحس به العالم كله .

. . . . . .

إن المصريين بالتنسيق الجيد مع السوريين قد حققوا نجاحاً فوق المتوقع بعبور القناة واقتحام التحصينات القوية لخط بارليف. ولقد كان إنجازاً مثيراً – بأى – مقياس من المقاييس – أن يعبر جيش مانعاً مائيًّا كقناة السويس ، يصل اتساعه إلى مائة ياردة ويحميه ساتر ترابى يتراوح ارتفاعه بين ٣٠ و ٥٠ قدماً ، بغض النظر عن التحصينات الملاصقة والتى صرفت عليها إسرائيل حوالى ٤٠ مليون جنيه إسترلينى .

إن أى جيش يحقق ذلك – وفى ساعات قليلة بل فى وضح النهار إنما يحقق نجاحاً ضخماً ورائعاً . وعندما يكون الجيش الذى يقوم بمثل هذا العمل فى موقف الجيش المصرى الذى عانى من ذكريات مأساوية لما حدث له فى ١٩٦٧ – فإن النجاح يكون أكبر بل إنه يتعدى حدود النجاح المتعارف عليه . إنه يصبح نقطة تحول .

. . . وعلى الجانب الآخر . . نجد أن هزيمة إسرائيل تتضاعف نظراً للصورة الأسطورية التى كانت تظهر فيها دائماً . إنه مع كل موقع إسرائيلى يسقط ، ومع كل طائرة فانتوم كانت تتهاوى فى هذه الحرب . كان حجم الخسائر يبدو مضاعفاً وخاصة أن العالم لم

يتعود أن يرى ، إسرائيل فى غير تلك الصورة .

وهكذا أخذت افتراضات ومسلمات كاملة تهتز وتتحطم .

ولعل الآثار النفسية هى التى تضيف إلى المعنى الحقيقى لما حدث فى أكتوبر وإن – كانت هذه الحرب قد شهدت بالتأكيد تحولاً بارزاً فى ميزان القوى العسكرية فى المنطقة حيث سقط التفوق الإسرائيلى الذى أحست به إسرائيل دائماً .

(توقيع)
كريستوفر مايهيو
ومايكل آدمز
فى كتابهما (. . ليس للنشر)

« لقد أدرك الإسرائيليون أخيراً أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق لمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن أصبحت حالة دولتهم التى لا تقهر موضع تساؤل » .

(توقيع)
جيمس شليزنجر
وزير الدفاع الأمريكى
فى ١٩٧٣/١٢/٢٦

« دخل العالم نتيجة حرب أكتوبر فى مرحلة سياسية واقتصادية جديدة ، ولن تعود أحوال العالم إلى سابق عهدها قبل هذه الحرب .

(توقيع)
بيير ميسمير رئيس وزراء فرنسا
(فى حديث لمراسل وكالة « ن . ى . ت » فى تل أبيب ، بتاريخ ١٩٧٣/١٢/٢)

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يصل إليها غير الأداء العسكرى العربى الممتاز ووجد مائة مليون عربى أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على أنفسهم وهى الوحدة ومهما يكن فإن السبب الرئيسى لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شىء ذلك النجاح الذى تحقق لهم فى ميدان القتال ، وفى فرض الحظر العربى على إمدادات البترول . »

(توقيع)
مجلة النيوزويك
فى ١٩٧٣/١٢/١٧